رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

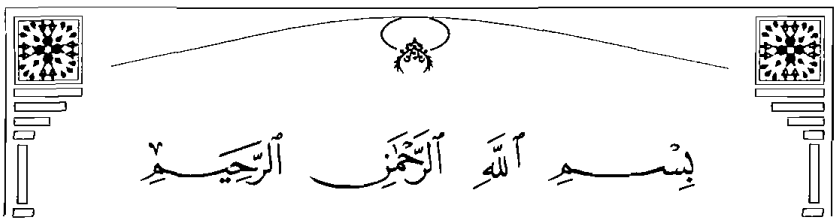

مُقَدِّمَةُ الشَّارِحِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا شروع في شرح هذه الرسالة العظيمة (**كشف الشبهات**) للإمام المصلح المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ وأجزل له المثوبة، ونستعين الله جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه، ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أنْ يعلمنا منها علمًا نافعًا، وأن يقينا في فهمها الزلل والخطأ، وأن يجعل أفهامنا صائبة وقلوبنا ذات بصيرة.

وبين يدي شرح هذا الكتاب العظيم نقدم مقدمة مهمة بين يدي هذا الموضوع إلا وهو: **الدعوة إلى التوحيد وكشف الشبه فيه**.

فمن المعلوم والمتقرر في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ أنّ الله عَزَّ وَجَلَّ بعث الأنبياء والمرسلين جميعًا لعبادة الله وحده لا شريك له، وخلق السموات والأرض، وخلق الأفلاك، وخلق كل شيء لأجل عبادته، ولم يأذن بعبادة

أحد سواه، قال ﷻ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فمن نظر إلى دلائل توحيد الله ﷻ في الآفاق، وفي الأنفس، تيقّن أن هذا الملكوت له مدبر واحد، وله خالق واحد، وله متصرف واحد، وهو الله ﷻ، ولا بد من ذلك. وهذه الضرورية لا يحتاج معها المرء إلى برهان مفصل؛ لأنه يُحِسُّها في نفسه ويحسها فيما حوله، ولا بد أن تقوده إلى أن الذي خلق الخلق وحده، وتصرف في الملكوت وحده، هو الذي يجب أن يُذل له، وأن يُخضع له، وأن يُعبد وحده دون غيره.

ولهذا كان من براهين توحيد الإلهية توحيد الربوبية[1]، فدلائل توحيد الله ﷻ في ربوبيته في الآفاق، كل دليل منها يصلح أن يكون دليلا على استحقاق الله ﷻ العبادة وحده لا شريك له؛ لأنه ﷻ هو الواحد في خلقه ورَزقه وربوبيته، فكذلك يجب أن يوحد في إلهيته سبحانه، وأن يُعبد ويُفرد بالعبادة؛ لهذا قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]، وقول المحققين من علمائنا في هذا الميثاق أنّه هو الفطرة[2]، وهو دليل وحدانية الله ﷻ في الأنفس وفي الآفاق، فكل

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٧)، وبدائع الفوائد (٢/ ٤٧٢)، وإغاثة اللهفان (٢/ ١٣٥)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٧٣).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (أمّا قَوْلُهُ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولدُ عَلَى الْفِطْرةِ، فَأَبَواهُ يُهوِّدانِهِ، أوْ يُنصِّرانِهِ، أوْ يُمجِّسانِهِ»، فالصّوابُ أنّها فِطْرةُ اللّهِ الّتِي فطر النّاس عليْها =

مولود يولد على الفطرة، وهذه الفطرة هي توحيد الله ﷻ، وهذا هو الميثاق الذي أُخذ عليهم.

وهذا الميثاق ليس هو استخراج ذرية آدم من ظهره - كما قاله طائفة ونقل من تفاسير السلف أيضًا - لأن هذا من الخطأ في فهم الآية، فليست مسألة الميثاق الذي في هذه الآية والإشهاد عليهم هي الأخذ من ظهر آدم عليه السلام بل هي الأخذ من ظهور بني آدم، فقوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي: ظهور ذرية آدم، وليست هي ظهر آدم عليه السلام، وقوله - عز من قائل -: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، هذا الإشهاد هو بلسان الحال لا بلسان المقال؛ كما هو قول المحققين من أهل العلم[(١)]، وعلى هذا فإن تفسير الميثاق الذي في هذه الآية عند المحققين من أهل العلم هو بالفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، وهي الفطرة في الربوبية التي تدل على الألوهية، وهي في معنى قوله ﷻ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠]، وفي معنى قوله ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»[(٢)].

وهذا هو مذهب واختيار أئمة أهل السنة؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وشارح الطحاوية، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي في

= وهِي فِطْرةُ الْإِسْلامِ وهِي الْفِطْرةُ الّتِي فطرهُمْ عليْها يوْم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]). انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٥)، وأحكام أهل الذمة (٢/ ٩٤٨).

(١) قال به الحسن البصري رحمه الله في تفسير هذه الآية، انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٥). وقال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٢/ ٤٢): (فمعنى قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ إشهادهم على أنفسهم إنما هو بما نصب لهم من الأدلة القاطعة بأنه ربهم المستحق منهم لأنْ يعبدوه وحده، وعليه فمعنى ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أي قالوا ذلك بلسان حالهم لظهور الأدلة عليه). ا.هـ. وانظر: تفسير السعدي (١/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تفسيره، وأئمة الدعوة، وهو تفسير جماعات كثيرة من أهل العلم[١]، وهو الذي يتعين في الموافقة مع أصول التوحيد وأصول العقيدة بعامة، وهو الذي يتعين موافقة لحكمة الله ﷻ، وهو الذي يتعين موافقة لما هو مقرر في الشريعة من مسألة إقامة الحجة في أحكام المرتد؛ لهذا غلط في هذه الآية جماعات من المتقدمين ومن المعاصرين أيضًا، فجعلوها حجة على أنه ليس ثَمَّ حاجة لإقامة الحجة على العباد، بل الفطرة كافية، والعهد الأول كاف ... إلى آخره.

فدلائل وحدانية الله ﷻ قائمة في الآفاق وفي الأنفس، ودليل الربوبية قائمٌ ظاهرٌ بيّن، فمن نظر أدنى نظر وصل إليه؛ ولهذا لم يجعل الله ﷻ النظر في توحيد الربوبية، مطلوبًا من أتباع الرسل، ولا أُمِرت الرسل بجعل دعوتهم في ذلك، وإنما أمر الله ﷻ بتوحيده في عبادته، وبعث المرسلين جميعا لهذا الأمر العظيم.

لهذا نقول: إنّ جعل دليل وحدانية الله ﷻ في الربوبية فقط، ليس من منهج أهل السنة والجماعة الذي تبعوا فيه طريقة الأنبياء والمرسلين، ولم يكونوا يفيضون فيه، ولم يجعلوه غاية؛ كما جعله طائفة من المعاصرين غاية في ذلك.

وطريقة المتكلمون في هذا الباب أنّ التوحيد المطلوب هو توحيد الربوبية

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٤٨٢ - ٤٨٤)، وشفاء العليل لابن القيم (ص١٢، ١٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٦٥ - ٢٧٤)، وتفسير السعدي (١/ ٣٠٨)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٢، ٤٣).

ولهذا يجعلون أول واجب على العباد النظر، أو القصد إلى النظر، أو الشك كما هي أقوال عندهم[١]، فإثبات توحيد الربوبية وأنّ الله ﷻ هو الواحد في ربوبيته هذا هو التوحيد عندهم، وهذا مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة ولهذا تجد أن أتباع الأنبياء والمرسلين الذين قَفَوا أثر السلف الصالح عندهم من براهين توحيد الإلهية ما فيه التفصيل، وأنهم فصلوا الكلام فيه لأجل تثبيته، وإقامة الحجة على من خالفهم. أما غيرهم فإنهم يتوسعون في أبواب توحيد الربوبية. ومَن عبد الله ﷻ وحده لا شريك له، فإن عبادته تتضمن إقراره بربوبية الله ﷻ وحده دون غيره، بخلاف من وحد الله في ربوبيته فإنه قد يعبد معه آلهة أخرى؛ كما فعل أهل الجاهلية فإنهم موحدون في أكثر أفراد الربوبية، ولكنهم مع ذلك مشركون، ما قادهم توحيد الربوبية إلى توحيد الإلهية، قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾، إلى أن قال في آخر الآية: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، والآيات في ذلك كثيرة.

المقصود من هذا: أن غاية بعث الأنبياء والمرسلين هو تحقيق توحيد

---

(١) قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله-: (التوحيد هو أول واجب على المكلف، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك في الله؛ كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب، وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا).
انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٢١).
ولمعرفة أقوال القوم، انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٥٢ وما بعدها) و(٨/ ٨ وما بعدها)، وفتح الباري (١/ ٧٠، ١٣/ ٣٤٩).

العبادة وإقامة الحجة فيه، وكشف الشبه عنه، وإيضاح الدلائل فيه بتفصيل وإيضاح أفراده، ولا يخفى علينا قول الربّ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ﴾ [النحل: ٣٦] فالدعوة إلى التوحيد هي ميراث الأنبياء والمرسلين لكن هذه الدعوة من لم يعشها ولم يتوسع فيها لا يعرف كيف يدعو إلى التوحيد، بل قد يأتي من يظن أنه لا حاجة إلى ذلك، وعبودية الخلق لله ﷻ التي هي غاية وجود الخلق إنما تكون بأن يُدْعَى إلى الله ﷻ بتوحيده، وفهم ذلك والعلم به وتطبيقه، فإذا هديتَ الناس إلى أن يوحدوا الله في أقوالهم، وأعمالهم، وبما تعتقده قلوبهم، انبعث ذلك الاعتقاد وذلك التوحيد عن عمل صالح، وعن نفس مخبِتة منيبة لله ﷻ، وهذه النفس هي التي تحوز فضل تكفير الذنوب.

كما قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1] هذا لأهل التوحيد، أما النفس المشركة، أو المترددة، أو المرتابة في أمر التوحيد، فلا تحصل على فضائل الإسلام، ولا على فضل الإسلام على أهله، ولا على فضل التوحيد على أهله.

ولهذا نعجب أنه مع اشتداد الحاجة إلى دعوة الناس إلى توحيد الله، فإنّ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

هناك من الناس من يقول: لا حاجة إلى ذلك. وهذا من جرّاء عدم معرفتهم لعظم حق الله ﷻ، وكيف يُعظم ربنا ﷻ، وإنما تعظيمه بتحقيق التوحيد، فمن حقق التوحيد فقد عظّم حق الله ﷻ، ومن أضاع التوحيد فقد أضاع حق الله ﷻ، ولو كان السجود في جبهته مؤثرًا، ولو كان جلده على عظمه من الصيام مؤثرًا، فلا قيمة لذلك؛ بل قد قال ﷻ لنبيه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، لهذا تعجب أشد العجب من هؤلاء الذين بلغوا في أمر العلم ما بلغوا، وبلغوا في أمر الدعوة ما بلغوا، وعندهم من الكلمات الشركية، ومن عدم معرفة حق الله، ومن الغلو المذموم، ومن تعليق القلوب بغير الله، مما هو موجود في كتبهم وفي غيرها، وهذا من اشتداد الفتنة التي ستبقى إلى أن تقوم الساعة.

والدعوة إلى التوحيد تكون من جهتين:

الأولى: مجملة. **والثانية**: مفصلة.

أما المجملة، فهي ببيان معنى التوحيد، وبيان أنه ﷻ هو المستحق للعبادة، وإقامة الدلائل على توحيد الله ﷻ، وعلى أن التوحيد أهم المهمات، وأنه دعوة الأنبياء والمرسلين، وأنه فيه من الفضل من تكفير الذنوب، ومحو السيئات ما فيه، إلى آخر ما في بيان التوحيد وفضله مجملًا بلا تفصيل. وهذا القدر في الدعوة إلى التوحيد إجمالًا دون تفصيل، يشترك فيه كثيرون من الدعاة في هذا الزمن؛ لأن الدعوة إلى التوحيد مجملة يتفق عليها الجميع، حيث إن تفسير التوحيد يكون عند المتلقي وليس من جهة الملقي، وإذا أُحيل الكلام على فهم المتلقي فإنه يحتمل عدة أوجه فيمكن أن يفسر بحسب ما يتلقاه المتلقي.

فطوائف المشركين إذا أمرتهم بتوحيد الله مجملًا لم ينتقدوا عليك - يعني في هذا الزمن- لأن التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية، وكذلك طوائف الغلاة في عبادة الأولياء والصالحين إذا أمرتهم بالتوحيد ولم تفصل في المسألة التي هم فيها ما أنكروا عليك، فكثيرون دعوا إلى التوحيد في أماكن فيها قبور للصالحين وتُعبد من دون الله، ولم ينكر عليهم أحد ممن هم في حضرة تلك المشاهد التي شُيدت لعبادتها من دون الله أو مع الله ﷻ، لأن دعوتهم مجملة. وهذا القدر لا يميّز القائل به أنه من أهل التوحيد أو أنه من الدعاة إلى توحيد الله؛ لأن هذا فيه عموم وإجمال، والإجمال لا يصلح بقدر إصلاح التفصيل، لكن إن كان الإجمال خطوة في الطريق فإنّه يكون مناسبًا؛ لهذا نقول: إن الدعوة إلى التوحيد تكون بإجمال وتكون بتفصيل، فمن أجمل ثم فصَّل، فكان إجماله خطوة لينقل بها الناس، أو ليمهد بها لبيان حق الله ﷻ، ولو كان التمهيد في أسبوع أو أسبوعين أو شهر، بحسب الحال التي في بلده، فإن هذا مناسب، لكن أن يدعو إلى التوحيد دعوة مجملة دون تفصيل فهذا ليس من منهجنا، ولا من منهج أئمة هذه الدعوة، ولا أئمة الإسلام المتقدمين في الدعوة إلى توحيد الله.

النوع الثاني: الدعوة إلى التوحيد مفصّلا، والتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويكون بإفراد الله بأعمال القلوب وأعمال الجوارح. وأعمال القلوب متنوعة منها: المحبة، والرغبة، والرهبة، والرجاء، والخوف، والتوكل، والإنابة والخشوع إلى غير ذلك من أفراد أعمال القلوب، وعبادات القلوب، فمن دعا إلى كل مسألة من هذه المسائل مفصلًا فإنه دعا إلى مسألة من مسائل التوحيد بتفصيلها، فيتكلم عن الرّغبة والرّهبة، ويتكلم عن التوكل، ويتكلم

عن المحبة، ويُفصل بذكر كلام أهل العلم فيها، هذا من جهة أعمال القلوب.

وأعظم أعمال القلوب الإخلاص، وإلا يكون في القلب من جهة القصد والتوجه إلا الله وحده ﷻ وتقدست أسماؤه، فالدعوة إلى إخلاص الدين لله، وتوحيد القصد والتوجه وإلا يكون في القلب إلا الله ﷻ، إذا كانت من طالب علم يضبط الكلام فهذه دعوة مفصلة في توحيد الله ﷻ. كذلك يدعو إلى توحيد الله بتفصيل الكلام عن أعمال الجوارح من جهة الصلاة، والدعاء بأنواعه؛ كالاستغاثة والاستعاذة والنداء . . . إلى آخره، وكذلك الذبح وما شابه ذلك، فيأخذ كل مسألة منها، ويبين وجوب إفراد الله ﷻ بهذه العبادة ويفصل في ذلك، ففي الدعاء - مثلًا - يُبيِّن معنى الدعاء، ويأتي بالآيات التي فيها إفراد الله ﷻ بالدعاء. . . إلى آخره، وكذلك في الاستغاثة يأتي بالآيات التي فيها إفراد الله ﷻ بها، ووجوب ذلك، وكذلك في بقية المسائل كالذبح والنذر. . . . إلى آخره.

كذلك ما يتعلق بإفراد النبي ﷺ، وإفراد شريعته بالحكم والتحاكم بين العالَمين، هذا فرد من أفراد توحيد الله ﷻ. وبعض الناس يطرق من التوحيد هذه المسألة دون غيرها، وهذا ما يسمونه بتوحيد الحاكمية، أو الدعوة إلى تحكيم شريعة الإسلام وإبطال تحكيم القوانين، وبيان ما جاء في ذلك من النصوص، وكلام أهل العلم. وهذا لا شك أنه من التوحيد، ولكن ليس هو التوحيد فقط، بل توحيد الله ﷻ هو إفراد الله بالعبادة، وهذه من التوحيد لأنها تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله. فأهل التوحيد يدعون إلى هذه جميعًا، وأما غيرهم ممن كان في قلبه شبهة، أو من كان عنده طريقة أخرى، فإنهم يدعون إلى التوحيد مجملًا، وإذا أتى التفصيل فإنما يفصلون في مسألة

الحاكمية، وهذا خلاف طريقة أهل التوحيد وأئمة هذه الدعوة. لهذا تجد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أتى بمسائل الحكم والتحاكم متأخرة في كتابه (التوحيد)[١]، وكان قبلها ما يتعلق بالدعوة إلى التوحيد مجملًا وفضل التوحيد، ثم بيان ضد ذلك ومسائله. . . إلى آخره، فالحاكمية جزء من الكلام على التوحيد، وشمولية الدعوة إلى التوحيد تؤخذ من كتاب (التوحيد)؛ لأن فيه بيان التوحيد مجملًا ومفصلًا؛ ولأن فيه بيان ضده مجملًا ومفصلًا. يُضاد التوحيد: الشرك، والشرك كما هو معلوم أكبر وأصغر، والدعوة إلى التوحيد لابد وأن يكون معها نهي عن الشرك؛ لأن الدعوة إلى التوحيد، هي دعوة إلى لا إله إلا الله، فهي كُفرٌ بالطاغوت وإيمان بالله، فلابد من النهي عن الشرك، فأهل التوحيد عندهم دعوة إلى التوحيد مجملًا ومفصلًا، وعندهم أيضا نهي عن الشرك مجملًا ومفصلًا.

وقد تجد عند كثيرين ممن تكلم في التوحيد إجمالًا ببيان شناعة الشرك، وأنه أعظم ما عُصي الله به، ونحو ذلك مما فيه بيان الشرك بإجمال دون ذكر صور الشركيات الموجودة، فإذا تكلم ونهى عن الشرك كان نهيه مجملا، ولا تجده يفصل قبل الكلام ولا بعده، ولكن يدعو إلى التوحيد بإجمال وينهى عن الشرك بإجمال، وهذا لا يفيد الفائدة المرجوة؛ لأن النهي عن الشرك بالإجمال يفسره المتلقي بحسب فهمه، ولكن إذا فَصّلتَ وحددتَ فإنه يكون مستوعبًا للمراد من الكلام، ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]:

فَعَلَيكَ بالتَّفْصِيلِ وَالتَّبْيِينِ فَالـ إِطْـلاقُ وَالإِجـمَـالُ دُونَ بَـيَـانِ

---

(١) انظر: كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد (ص٥٥٠).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٣٢٥).

قَدْ أفسَدَا هَذَا الوُجُودَ وَخَبَّطَا الْأَذْهَانَ وَالآرَاءَ كُلَّ زَمَانِ

الإجمال موجود في الكتاب والسنة، ولكنه إجمال وثَمّ تفصيل له، فمن اقتصر على الإجمال دون التفصيل فهو على غير السبيل.

فالنهي عن الشرك مجملا قد عرفناه، أما النهي عن الشرك مفصلًا فيكون بذكر الشرك بأنواعه المعروفة، الأكبر، والأصغر، والأصغر: منه الخفي كشرك الرياء، ومنه ما هو ظاهر كالأعمال الظاهرة مثل: التمائم، ولبس الحلقة، والخيط، والحلف بغير الله، ونحو ذلك، فيفصل الداعية في كل واحدة، فيأتي إلى دعاء غير الله - مثلًا - ويبين أنه من الشرك ويُفصل، ويقيم الدلائل في ذلك بتفصيلها، ثم يذكر صور دعاء غير الله، وكذلك في الخوف من غير الله يذكر صور هذا الخوف، ومتى يكون شركًا أكبر. كذلك يأتي إلى الشرك الأصغر ويعرضه بتفصيل، ويبين للناس صور التمائم، فقد تقول للناس إن التمائم شرك ولا تبين لهم صورتها، فهذا يقع فيه كثيرون ممن ينهون مجملا عن الصورة ولايفصلون الكلام عليها، والناس لا يتصورن المراد بالتمائم إلا الصور التي كانت في الجاهلية القديمة، واعتادوا الصور الحاضرة اليوم والتي تجدها في الشوارع وفي كثير من البيوت، ولا يعتقدون أنها من الشرك الأصغر، فلا بد أن يكون ثَم تشخيص للصورة الشركية، وإعطاء الصور الكثيرة كتأصيل لهذه المسألة الشركية، هذه هي الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك مفصلة.

كذلك تفصل الكلام على شرك الرياء، وتفصل الكلام في الذبح لغير الله، والنذر لغير الله، وتتكلم عن شرك الألفاظ بنسبة النعم لغير الله ﷻ وتفصل الكلام فيه، وكذلك الحكم بغير ما أنزل الله وتفصل الكلام فيه،

وأنّه ليس على حالة واحدة، بل له أحوال وأحكام مختلفة ونحو ذلك، بحسب ما قرره أهل العلم.

وهذه كانت طريقة الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله ﷻ، ومن نظر في دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وجد أنه سار هذا المسير وهكذا الأئمة من بعده - رحمهم الله تعالى، وجزاهم عنّا وعن المسلمين خيرًا -.

ولاشك أن الداعي بتفصيل في التوحيد ستَرِدُ عليه شبه، وأما الداعي بإجمال فلن تُطرح عليه الشبه، ولهذا تكثر الشبه إذا ازداد التفصيل، فشبه المشبهين في توحيد الله تزداد بازدياد التفصيل في مسائل التوحيد، فإذا قلت له أن دعاء غير الله شرك أورد الاستشكالات، وإذا قلت له أن دعاء النبي ﷺ شرك أتى بالشبه، وإذا قلت له: إن دعاء الصالحين شرك. أتى بالشبه، وإذا قلت: إن الذبح لغير الله ﷻ شرك أكبر - أتى بشبه - بل إن بعض الدعاة المنتسبين إلى الإسلاميين وإلى الدعوات الموجودة من يقول في بعض هذه الصور: إنها شرك. ولكن يجعلها شركًا أصغر، وهذه - أيضا - شبهة عظيمة راجت على كثيرين من أتباع الجماعات الإسلامية في كثير من بلاد الإسلام، فيجعلون الذبح لغير الله شركًا، لكن يقولون: هو شرك أصغر لا يُخرج من الملة. وكذلك يقولون: النذر لغير الله شرك ولكنه شرك أصغر. وهكذا في مسائل كثيرة يأتي لك بالشبه التي تطعن فيما قررت من توحيد الله ﷻ والنهي عن الشرك مجملًا ومفصلًا في النوعين. فبقدر فهمك للتوحيد ونهيك عن الشرك مجملا ومفصلا تَرِدُ الشبهات.

والشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لما دعا بدعوته مجملة ومفصلة جاءته الرسائل والكتب، وكُتبت الأوراق، ونُشرت المناشير في زمنه في

تضليله وإيراد الشبه على أقواله، ولأجل تلك الشبه التي كانت رائجة في وقتٍ ما في عصره صنّف هذه الرسالة التي بين أيدينا؛ رسالة كشف الشبهات

والشبهات ليست مقتصرة على ما أورده الشيخ، فكلما ذهبت إلى بلد وجدت عند علماء الشرك والضلال من الشبهات ما ليس عند غيرهم، والشبهة ترد على القلوب وقد تؤثر فيها ولو بالتردد، وهذه مصيبة أنْ تأتي الشبهة ولن يقتنع بها ولكن في داخله يكون مترددًا، وهذا تجده عند كثيرين، وحتى في المنتسبين للعلم في الجامعات أو ممن درسوا دراسات عصرية في هذا العصر، حتى في بلاد التوحيد تجد أن بعضًا من أهل الفطرة عندهم عدم قناعة بالشرك ولا بالدعوة إليه وعندهم قناعة بضده وبالتوحيد، ولكن عندهم في القلب بعض التردد من أن ما يُصنع عند قبور الأولياء والصالحين أنه شرك وكفر بالله ﷻ، ويعظم التردد إذا قلت لهم ما قاله الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالة كشف الشبهات هذه: (إنّ شرك المعاصرين- في زمن الشيخ وفي هذا الزمن من جهة المتعلقين بالأولياء والأموات ونحو ذلك- أعظم من شرك أهل الجاهلية)، فيعظم التردد لأجل ورود الشبهات.

ومن الشبهات التي ترد في ذلك: كيف يُقال إن هؤلاء مشركون وهم يصلون ويزكون ويحجون، وقد ترى على بعضهم أثر السجود، وأثر الطاعة والزهد والبكاء من خشية الله ﷻ؟ فهنا تعظم الشبهة، ويبقى من لم يكن متحصنًا بالتوحيد دائم التَّكرار له في تردد في هذا الأصل العظيم.

والحمد لله أننا في بلاد التوحيد لا يرد علينا هذا كثيرًا، وقد لانحتاج إلى كثرة ردّ الشبهات، لكن من كان في غير هذه البلاد يجد الصدام عنيفًا، والمواجهة إنما تكون مع أهل الشرك والضلال، ومن سافر إلى هذه البلاد

للدعوة لينظر ويحاجّ ويدعو إلى التوحيد بإجمال وتفصيل، فسوف ترِدُه الأقوال والأعمال والغرائب، وإذا لم يتحصن فربما زل الزلة التي بعدها سيكون في أعظم خسارة.

ولهذا لما كتب الشيخ رحمه الله (**كشف الشبهات**)، هل كتبها للمشركين؟ بل كشف الشبهات عن المسلمين، صنّفها للمسلم الموحد؛ لهذا جاءت مختصرة كما سنرى، فالموحد يحتاج إلى كشف الشبهات عنه، يعني: إلا تبقى الشبهة معه.

ولا شك أن المنهج الصحيح إلا تورد الشبهات، فبعض الناس قد لايكون عنده في قلبه شبهة أصلا، فإذا وردت الشبهة ثم أتى الرد بعدها، قد تعلق الشبهة ولا يُفهم الرد، خاصة أن هذه الشبهات التي يوردها خصوم التوحيد تجد أنها عاطفية، بينما رد الشبهة علمي، ومن القواعد المقررة في الدعوة في معرفة نفسيات الناس: أن إثارة الناس والتأثير عليهم بالعاطفة يقوى، أما بالعلم فلا يتأثر إلا من كان متأهلًا للفهم والإدراك. ومخاطبة العقل والقلب بالبراهين هذه لا يفهمها إلا الخاصة، أما العاطفة الهياجة وتحريك النفوس دون البرهان، فهذا يقلب النفوس ويؤثر على النفس أعظم الأثر.

ولهذا ليس من المنهج الصحيح أن يُستفاض في ذكر الشبهات ويرد عليها؛ لأن الشبهات قد تعلق في القلوب، فكثيرٌ من الشبهات مبناها على العاطفة؛ كقول من يقول: هؤلاء الذين تحكمون عليهم بالشرك يصلون ويزكون ويعبدون الله وحده، وما دعوا استقلالا هؤلاء الأموات، وعندهم خشية وتلاوة للقرآن، فهذا يختم القرآن كل ثلاث ليال، وهذا يصوم يومًا

ويفطر يومًا، وهذا كثير الصدقة، وهذا كثير العمل، وهذا مجاهد، وهذا فعل للإسلام ما فعل. . . إلى آخر الكلمات التي تُحرِّك بها العواطف، أما البرهان العلمي فلا يفهمه إلا من كان عقله مستعدا لقبول البرهان، وكما هو القانون العام: **إن البراهين لا تصلح إلا لذوي العقول، أما العواطف فتصلح للجمهور**.

ومن الأمثلة على ذلك: تجد أنه إذا خطب خطيب ما في موضوع وعظي وتكلم فيه بكلام ليس بذي أدلة في الشرع بكلام فيه مشاهدات أو بكلام عام وخوّف، وورّوع، والكلام نصفه أو أكثر من نصفه غلط في الشرع، كم الذين سيتأثرون بهذا الوعظ الذي حرك العواطف! وهذا الخطيب واعظ جيد يحرك النفوس، فستجد أن الأكثرين سيتأثرون، والقلة سيقولون: هذا خلاف العلم هذا غلط وفلان أخطأ، والوعظ لابد أن يرتبط بالشرع، وهكذا.

ولكن هؤلاء سيتأثرون، لِمَ؟ لأن أكثر الناس جهال، حتى الشباب ليس كل الشباب في مستوى واحد من العلم وإدراكات العلوم، فقد يقنعون بمسائل العلم خلافها، وخاصة في مسائل التوحيد؛ ولهذا أعظم ما يعتني به طالب العلم والشاب الذي رغب فيما عند الله ﷻ، وتوجّه إلى الله وحده، وتجافى عن دار الغرور، وضحى بما يشتهيه ويلتذ له بما عند الله ﷻ، أن يكون همه في دراسة هذا الأمر العظيم همًّا عظيمًا، ولن يُدرك إلا إذا أكمل، في البدايات لن يُدرك، لكن إذا أكمل عرف أنه على خطأ.

أحد مشايخنا الذين قرأت عليهم في التوحيد، كان يريد أن نقرأ - كما هي العادة - رسائل ومسائل الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة

الدعوة، وقد قُرئت مرة وكررت، فقال له أحد طلبة العلم وهو بجنبه: هذه سمعناها وكررناها. فغضب الشيخ ووكزه وكزة قوية ظهرت الحرارة في وجهه مباشرة، وهذا طالب علم وكان بجنبه وأنا كنت أمامهم، وهذا ما يستقيم مع كل نفس؛ لكن مع النفس التي عرفت عِظم حق الله ﷻ في هذا الأمر العظيم؛ لأنه إذا لم يكرر نسي.

لهذا في أواخر هذا الكتاب (كشف الشبهات) ذكر الشيخ رحمه الله بعض المسائل، وبعد أن قررها قال: إنها (فَتُفِيدُ التَّعْلِيمَ وَالتَّحَرُّزَ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الْجَاهِلِ: التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ، أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْجَهْلِ، وَمكَائِدِ الشَّيْطَانِ)، وهذا لا شك أنه حاصِل، وتأمل قول الله ﷻ مخبرًا عن دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال العلماء: خاف على نفسه -وهو إبراهيم خليل الله عليه السلام- وخاف على بنيه عبادة الأصنام. قال إبراهيم التيمي رحمه الله في تفسيرها: (وَمَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ)[1]. فإذا كنت لا تأمن البلاء فلابد أن تضع حماية قوية وسور منيع أن يتطرّق إليك ذلك، بعضهم يقول: هل ممكن - نعوذ بالله - أن نعبد الأوثان أو الأصنام؟ نقول: ربما لم يكن ممكنا - بفضل الله ونعمته - في جيلك، ولكن تساهلك جزئية ولو صغيرة، وبعد زمن يتساهلون في جزئية أخرى، ثم يصل الأمر إلى مرحلة لا تتواصى فيها الأجيال على الحفاظ على التوحيد.

وخُذ مثلا على ذلك مما شاهدت بنفسي في مكان قريب من الدار التي أسكنها: رأيت ذات مرة بعد صلاة الظهر أمام أحد البيوت التي بُنيت حديثًا اثنين من الباكستانيين يذبحون عند عتبة الباب خروفًا، والدم يسيل بشدة

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٢٨).

على العتبة، وكنت أسمع بهذه الصورة في كلام أهل العلم، لكن ما رأيتها واقعًا إلا في الرياض في حي المحمدية، من أين جاءت هذه؟ جاءت من التساهل بدراسة التوحيد، والقول: بأن التوحيد فهمناه. فتنشأ أجيال لا يعرفون التوحيد، ولم تُغْرس في قلوبهم حرارة التوحيد، فيدخل الداخل عليهم بهذه الأمور. ومما يوجب الخوف أنه قد لا يكون من الحاضرين من يتوجه إلى غير الله - والعياذ بالله - في هذا الزمن وفي هذا البلاد، ولكن بعد زمن يمكن أن يكون ذلك؛ لأن الله ﷻ ما أعطى أهل هذه البلاد ولاغيرهم عصمة، فأهل الجزيرة في عهد النبي ﷺ أسلموا، ثم حصل من بعضهم ردة، لكن قد يكون شيء وهو المصيبة - وفتّش نفسكَ - وهو التردد في قَبول ما قاله العلماء في مسائل التوحيد، وهذا يعرض على كثير من القلوب فيتردد، ويقول: هؤلاء متشددون، والمسألة سهلة لكن علماءنا هنا في غاية الشدة. فمن هنا يبدأ النقص الفعلي إذا تردد القلب ولم يكن على علم ويقين بحق الله ﷻ بالتوحيد وبالحكم على المشرك بأنه مشرك، وعلى الصورة الشركية أنها شرك.

فمع هذا التردد يكون القلب في ريب ولو كان يتعبد ويتقرب إلى الله ﷻ، لأن القلب ليس بسليم، وهذا دخل على قلوب كثيرين، وحَرِّك تَرَ.

نخلص من هذا إلى أن هذه الرسالة (كشف الشبهات) فيها أصول الشبهات التي كانت رائجة في زمن دعوة الشيخ رحمه الله، وفيها التوسع في فهم حال أهل الجاهلية الذين بُعث النبي ﷺ فيهم، وكيف كان شركهم؟ وما كانت أحوالهم في العبادة وفي الديانة؟ وما هي أصنامهم وأوثانهم؟ وكيف عبدوا الملائكة؟ وكيف عبدوا الجن؟ وغير ذلك من صور الشرك المعروفة.

فلابد لمن أراد أن يكون قويًا في رد الشبهات أن يتوسع أولًا في معرفة حال العرب في الجاهلية بعباداتهم المختلفة، ما هي آلهتهم؟ وما هي اعتقاداتهم؟ إلى آخره، ويفيدك في ذلك طائفة من المراجع، منها:

النوع الأول: كتاب (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) للأديب الموحد محمود شكري الألوسي، والكتب التي كُتبت عن تاريخ العرب قبل الإسلام؛ مثل (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، وكتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام)، وكتب أديان العرب فيمن بحثوا أديان العرب، إلى آخره.

فالتوسع فيما كان قبل مجيء نبينا محمد بن عبد الله ﷺ بهذا النور وهذا الهدى يُفهمك الحالة الدينية التي كانوا فيها؛ لأنك إذا عرفت الحال عرفت معنى الآيات، وعرفت معنى أقوال النبي ﷺ، وعرفت معنى دعوته. ويفيدك في ذلك أيضًا أن تهتم بأشعار العرب فيما ورد في ذلك؛ لأن كثيرًا من الصور جاءت في الشعر العربي.

النوع الثاني: كتب التفسير، فتقف عند الآيات التي فيها ذكر الشرك، أو الأمر بالتوحيد، أو ذكر أهل الجاهلية من الأميين أو الكتابيين، وتنظر إلى ما قاله السلف في الآية؛ لأن المتأخرين من المفسرين صرفوا الآيات عن تفاسير السلف، فكثير من المتأخرين عندهم أن التوحيد وعبادة غير الله تكون باعتقاد أنّ الخالق هو غير الله، وأما تفاسير السلف تجد أنها بخلاف ذلك.

فمثلًا: عند ذكر الأصنام والأوثان ما هي؟ تجد أن المتأخرين يفسرونها بتفسير، و السلف يفسرونها بتفسير آخر؛ ولهذا توسع الشيخ الإمام محمد

ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في فهم تفاسير السلف، فهو في التفسير في آيات التوحيد حجة؛ لأنه توسع توسعًا يعلمه من طالع كتاباته في التفسير، وهي موجودة ضمن المجموع، ويجعلها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على شكل مسائل وفوائد.

النوع الثالث: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم - رحمهما الله - وشيخ الإسلام في أواخر كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم)، وفي أواخر (التدمرية)، وفي (التوسل والوسيلة)، وفي (الاستغاثة الكبرى) المعروفة بالرد على البكري، وفي (الرد على الإخنائي) هذه الكتب أصّل فيها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ مسائل توحيد العبادة، وحال المشركين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ.

النوع الرابع: مصنفات الإمام الجليل محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ومصنفات أبنائه وتلامذته ومن سلك سبيلهم.

النوع الخامس: فتاوى علمائنا المعاصرين؛ كسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وبقية العلماء - حفظهم الله -.

وبهذا التسلسل يكون عندك وضوح في رد الشبهات، وأما إذا عكست فكنت تعرف التوحيد وليس عندك ملكة في رد الشبهات. وهذه الكتب - السابق ذكرها - منها كتب مخصصة في رد الشبهات، وهي كتب الردود، منها عند شيخ الإسلام: (الرد على البكري) وهو كتاب عظيم في هذا الباب، ومنها في كتب أئمة الدعوة (الرد على عثمان بن منصور) للشيخ عبد الرحمن والشيخ عبد اللطيف، وكذلك (كشف الشبهات)، و(مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد) للشيخ وغير ذلك من الكتب التي فيها ردود، ولغير علماء هذه البلاد أيضا.

فكتب الردود تلخص عندك الشبهات وتلخص الرد، وقد كلفت بعض الإخوة أو اقترحت عليه بالأصح أن يكون عنده جمع لنفسه للشبهات التي يحتج بها الخصوم، حتى يكون هناك مؤلف جامع للشبهات والردود عليها، ولكنها كثرت، وبعضها فيه طول في ردها، فصار من جراء الجمع شُبه كبيرة قد لا تكون خطرت في بعض البلاد فأرجئ الموضوع بعض الشيء؛ لأن بعض الشبهات قد تكون في بلد ولا تكون في بلد أخرى، فقد يأتي من يأخذ الشبهة من بلدٍ ويرد عليها في بلدٍ ثانٍ، فتكون شبهة جديدة لا يعرفها أهل تلك البلاد. والذي يهمنا في هذا الأمر - وهو كشف الشبهات - أن تتوسع في فهم حال العرب قبل الإسلام، فإنها من أنفع الأشياء؛ ولهذا من الأغلاط العظيمة التي يندد بها أئمة الدعوة: قول من يقول: إن هذه الآيات التي تذكرون، وهذه الأحكام، إنما هي في المشركين وليست في هؤلاء. ويُرَدّ عليهم بما قاله العلماء: بأن الحال هي الحال، وبقوله ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**»(١)، ولما قالوا للنبي ﷺ: «**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ**»، قال ﷺ: «**قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾**»(٢)، فما أشبه الليلة بالبارحة، هذا يتوارد لأن الأفكار محدودة، وشبهات الشيطان محدودة، فيتوارثها الناس جيل بعد جيل.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٦)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٩٤)، وأحمد في المسند (٥/ ٢١٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٧٩)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٣٠)، والطبراني في الكبير (٣٢٩١، ٣٢٩٤) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

نختم هذه المقدمة بأن نوصي الجميع بأن يدرسوا كتاب التوحيد دراسة مفصلة، حتى يستفيدوا من هذه الرسالة، ومن لم يدرس كتاب التوحيد دراسة مفصلة بدقة، فقد لا تتضح عنده الردود على بعض الشبهات تَرِد عليه، وهذا لا نريده؛ لأننا نسير بمنهجية في طلب العلم، والأصل أن دراسة كتاب كشف الشبهات تكون بعد دراسة كتاب التوحيد.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ